كاتبة ومخرجة ومديرة المركز الاعلامي اليمني في باريس

خديجة السلامي:

ولدت خديجة السلامي في صنعاء العام ١٩٦٦. ترعرعت في محيط عشائري وعاشت تجربة طفولة صعبة في ظل الحرب، على اثرها فقد والدها صوابه فجعلت منه الاحداث والظروف رجلاً عنيفاً غير قادر على رعاية عائلته. عرفت خديجة الفقر والقهر والخوف من الحرب ولنقص في الرعاية العائلية تم تزويجها وهي ابنة الحادية عشرة الى رجل يكبرها بأضعاف السنوات. رفضت حتماً هذا الزواج ولم

«معاناتي في الطفولة كوّنت شخصيتي»

تستمر به طويلاً اذ سرعان ما طلقت منه وعادت الى المدرسة لاستئناف تعليمها. في الثانية عشرة بدأت العمل في التلفزيون اليمني كمقدمة لبرامج الاطفال فعرفت شهرة طيبة ومع سنوات الخبرة ارتقت الى مذيعة لنشرات الاخبار. كل تلك الفترة، راودتها فكرة السفر فأدخرت المال الذي كسبته من عملها الاعلامي بهدف متابعة دراستها الثانوية في الخارج. غادرت البلاد الى واشنطن ومنها الى كاليفورنيا حيث تابعت تخصصها في الاعلام والاخراج السينمائي. وبعد الانتهاء من تخصصها عادت الى اليمن للعمل كمخرجة في التلفزيون اليمني، فكانت المرأة الاولى المتخصصة في هذا المجال ثم انتقلت بعدها للعمل والاستقرار مع زوجها في باريس.

عاشت خديجة السلامي وشهدت في طفولتها على احداث لا يسمح لا لطفل ان يعيشه او يشاهده من مآس. تحدّت الظروف القاهرة متجاوزة صدمات الحياة بعزم لمتابعة مسيرة النجاح في الحياة. حكايتها مع الحياة وأحداث اليمن، خطتها في كتاب صدر لها اخيراً تحت عنوان «دموع سبأ» "The Tears of Sheba" باللغة الانكليزية وشاركها في كتابته زوجها شارل هوتز. كتاب شيق، يجمع بين دفتيه تاريخ اليمن وتاريخ عائلة السلامي. يتنقل فيه القارىء من أحداث الماضي الى الحاضر ويتعرف الى العادات والتقاليد العشائرية اليمنية وكل ما ساهم في جعل خديجة السلامي ما هي عليه اليوم. سيدة مميزة، شجاعة وتعتبر مثالاً للعناد والمثابرة للنهوض من الكبوات في اقسى الظروف وترويض النكبات كي لا تقهرها. يحدوها خيط الامل الرفيع ليضيء لديها ظلمة القهر ويحثها على النجاح.

حكاية خديجة من صنعاء الى باريس، هل هي حلم تحقق، بعدما كانت رغبة مشوشة المعالم وسبيلاً لتحقيق الذات الانثوية وقد تبلورت مع الايام؟

اعتقد ان الحلم والرغبة تحققا معاً في الوقت عينه. عندما كنت في اليمن لم اكن افكر في باريس بالذات، كان همي الوحيد ان اغادر هذا البلد لتحصيل العلم، فأنا من النوع الذي يعشق الحرية. ففي صغري كنت مختلفة عن بنات جيلي، في المدرسة مثلاً الفتيات يفكرن في الزواج المبكر، انا كنت ارفض هذه الفكرة وأرفض كل ما اعتبره قيوداً. في الواقع، الحياة الصعبة التي عشتها في طفولتي كانت السبب الرئيسي الذي دفعني الى انتهاج تفكير مغاير عن السائد. كنت أفكر في كيفية التعلم واكمال دراستي، لانني كنت واثقة من ان التعلّم هو الذي سينقذني من وضعي الصعب وتحصيل العلم سيمنحني الاستقلالية والحرية في تصرفاتي وتقرير مصير حياتي. لقد صدمت في حياتي مرتين: الاولى زواج امي الفاشل وجنون والدي. والثانية: زواجي من رجل يكبرني سناً وأنا في الحادية عشرة من عمري. فأنا لا اريد ان تتكرر الاخطاء. أحببت ان تكون حياتي مختلفة عن حياة الاخريات في بلادي. وهذا ما دفعني الى المثابرة على التحصيل العلمي، والى السفر لتحقيق ما أتمنى. العمل في سن مبكرة شحذ عزيمتي، فاتكلت على نفسي وتحديت ضغوطات الاهل وخططت لمتابعة علمي الى ان انتهيت من مرحلة الدراسة الثانوية، وبعدها نلت منحة للدراسة في الخارج. فحزمت حقائبي وتوجهت الى الولايات المتحدة الاميركية. لم تكن الامور سهلة او بسيطة، وكان من الصعب على أهلي ان يتقبلوا رفضي للواقع المفروض عليّ كالزواج المبكر واقدامي على العمل باكراً ورفضي لوضع النقاب. كل هذه الامور كانت ضد العادات والتقاليد السائدة. وبالرغم من كل تلك العقبات، تابعت مسيرتي والطريق كانت صعبة لا بل شاقة، ولم يكن يمر يوم دون ان ابكي فيه، واما اليوم فأضحك بعد بكائي المرير في الماضي. لكن الامر كان يستحق العناء.

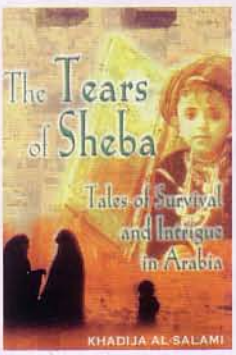

درست الاخراج السينمائي في الولايات المتحدة، ما هي الاسئلة التي كانت تدور في ذهنك حول تطبيق ما اكتسبته علمياً هناك لخدمة بلدك اليمن؟

الخبرة التي اكتسبتها من دراستي هي انه يجب على الانسان ان يكون صادقاً في طرح المواضيع الانسانية. فكل مجتمع له ايجابياته وسلبياته، فمن الصعب ان نتحدث عن الجانب السلبي في المجتمعات العربية. علماً انه اذا اردنا التخلص من الجوانب السلبية في حياتنا من الضروري طرح المشاكل على بساط البحث وان نجد حلاً لها.

في البداية كان من الصعب تقبّل ما اقوم به من افلام، خصوصاً ان اول فيلم اخرجته كان عن المرأة ومشاكلها ووضعها في المجتمع اليمني، فالسيدات اللواتي سمحن لي بتصويرهن طلبن مني عدم ظهورهن على التلفزيون اليمني ويا للاسف. احترمت رغبتهن، غير ان الفيلم عرض

خارج اليمن وهو كان اطروحتي الجامعية للتخرج في الولايات المتحدة وقد عرض الفيلم هناك في أقنية تلفزيونية محلية عدة. اذاً هذه هي المشكلة، نحن نخاف اذا تحدثنا عن قضية ما ونسأل ماذا سيقول الآخر واذا انتقدنا مشكلة ما ننعت بأوصاف «رديئة» ونخاف من كلام الناس.

حالياً في اليمن حرية الصحافة موجودة وممكن لأي شخص ان يعرب عن رأيه. طبعاً، هنالك اناس لا يعجبهم هذا الوضع وفي ما يخصني اسمع البعض يقول: «انت الآن سعيدة، متزوجة ولك حياتك الاسرية ومستقرة وأحوالك المادية ممتازة اذاً، لماذا توجعين رأسك بكل هذه المشاكل؟» هذا امر لا يمكن ان اسمح به، لا استطيع ان ابقى مكتوفة اليدين وأتفرج على أشياء تخص اليمن دون ان اتحرك. صحيح ان حياتي كانت مأساة هناك، غير ان تعلقي بهذا البلد شديد جداً جداً، رغم انني متزوجة من اميركي، فالذي ساعدني على ابقاء هذا التعلق هو تفهم زوجي لتعلقي ببلدي وكيف بامكاني ان اقدم لليمن اشياء ايجابية. ما حدث لي في اليمن، جعلني ما انا عليه الان، ومن جهة ثانية ليس عليّ النضال من اجل اليمن فقط بل عليّ النضال من اجل بنات جنسي. لان النساء حقوقهن سائبة. لذلك عندما اعود الى اليمن وأصور فيلماً او موضوعاً معيناً، اجد نفسي لا شعورياً اركز على النساء وعلى أوضاعهن حتى لو كان الموضوع احياناً عن الرجال.

اذ اجد نفسي أتحدث مع النساء اكثر وأركز على طبيعة عملهن وطريقة حياتهن. في النهاية من الصعب ان يتخلى الانسان عن جذوره، والانتقاد فقط لممارسة الانتقاد بحد ذاته غير مجد. هدف الانتقاد هو الاصلاح. ما لاحظته من خلال تجربتي اننا في العالم العربي بشكل عام نحاول ان نخفي سلبياتنا، ونتظاهر بأنها غير موجودة. فاذا بها تتراكم ونبدأ بالعيش حياة مزدوجة وهذا ما يمنعنا من الابداع والتقدم. فاذا لم نعمل على معالجة المشاكل وعلى اصلاح السلبيات واستمرينا في عملية الكذب على أنفسنا ونقنع انفسنا ان هذه السلبيات غير موجودة، نبقى عندئذ على ازدواجية الشخصية ما سيخفي الشخصية الاصيلة، وهذا لا يساعد على الابداع ولا على المضي في الحياة بشكل واضح وناجح.

من اين تستمدين الجرأة لتصوير أفلامك في اطار ظروف ليست بالضرورة مهيأة لتقبل وجود امرأة سينمائية، كما شاهدنا في آخر افلامك «المرأة والديمقراطية في اليمن»؟

لا ادري من اين اتتني الجرأة. لكن اعتقد ان هذه هي طبيعتي فأنا لا استطيع ان اتحمل الامور الخطأ، الجرأة تلقائية. تعرفين البعض يقول لي: «انتِ تعملين مع الحكومة ومن المفروض ان تظهري الجانب الايجابي!». في فيلمي «المرأة والديمقراطية في اليمن» احدى السيدات وهي عضو مهم في اللجنة الانتخابية، تحاول ترشيح نفسها للانتخابات النيابية، غير انها فوجئت بأن ملفها رفض اساساً. أقنعتها بضرورة التكلم عن هذا الواقع وانه حق من حقوقها التعبير عن مشاكلها. اقتنعت رغم مخاوفها من اثارة المشاكل. تكلمت امام الكاميرا عن كل ما حدث وعن معارضة الحزب لمشاركة المرأة في الانتخابات، ولم تحصل لها اية مشكلة.

كيف لمست صورة المرأة اليمنية الشائعة في الغرب وفي العالم العربي، وما مدى مطابقتها للواقع؟

ينظر الغرب الى المرأة اليمنية والعربية بشكل عام على انها انسانة غير فعّالة، وغير مشاركة في المجتمع ومضطهدة من قبل الرجل. عندما يشاهدون المرأة اليمنية في النقاب الكامل يتصورون هذا التصور. لكن الذين عاشوا في بلداننا وعرفوا الوضع عن كثب، يدركون ان الواقع غير ذلك. ففي الريف ٨٥٪ من النساء يعملن في الحقول وهناك هجرة واسعة للرجال الى بلدان الخليج وخصوصاً السعودية. المرأة تقوم بحمل اعباء الاسرة، اذاً هي انسان مشارك وفعّال في الانتاج في مجتمع الريفي اليمني.

اما بالنسبة الى المدن فجيل الستينيات هو الجيل الذي اتيحت له فرصة التعلّم وليس جيل والدتي. فالامر لم يكن سهلاً. كان الناس يخافون من المدرسة لانهم لا يعرفون ما هي المدرسة. منذ ستين عاماً كان اليمن معزولاً عن العالم لا تتوفر فيه المدارس بشكل كاف، الامية كانت بنسبة ١٠٠٪ تقريباً حتى الستينيات. بعدها فُتِحَت المدارس وكان الناس يحتاجون الى الوقت لتقبل الفكرة، اذ لم يكونوا على مستوى من الوعي والفهم. واليوم بدأت العائلات تقبل فكرة ارسال بناتهن الى المدرسة لتحصيل العلم وبدأنا نرى النساء تعمل في كل المجالات، صحيح انهن لسن في مراكز السلطة، او في مراكز مهمة اذ ان الافضلية دائماً للرجل. هناك تطور بطيء، ليس بالشكل الذي أتمناه وليس بقدر طموحي للتطور.

«تحكمنا العادات»

اذاً بالرغم من هذا التطور، لا تزال صورة المرأة على ما هي عليه بالنسبة الى الغرب. لا يمكننا القول ان الرجل العربي يضطهد المرأة. فهنالك تراكمات كثيرة في مجتمعنا العربي، اولاً الجهل وثانياً عدم الوعي. الرجل العربي غير واع لأهمية وجود المرأة ومشاركتها الى جانبه في المجتمع. فالعادات والتقاليد لا تزال تتحكم فينا. اذا تمكنا من معرفة جذور المشكلة وحاولنا ايجاد الحل المناسب لها يكون هناك امل في تغيير الوضع. تبقى المشكلة كما ذكرنا ان مجتمعاتنا تخاف من كل جديد كما من التغيير في نمط حياتها وتغيير عاداتها وتقاليدها. على سبيل المثال سأروي هذه الواقعة التي حدثت منذ شهر، عندما كنت في زيارة في صنعاء شاهدت فتاة صغيرة غير محجبة تلعب مع الاولاد، فاستغربت ولاحظت ان الناس يحبونها لجرأتها ولشخصيتها القوية وعندما يشتمها احد او يقول لها «انت بنت مش كويسة» ترد عليهم دون خوف وقد رأيت وجوه هؤلاء الرجال مليئة بالدهشة والاستغراب لقوة شخصية هذه الفتاة الصغيرة. فهنالك نوع من الاعجاب بداخلهم وفي الوقت عينه لا يمكن ان يتركوا اخواتهم او بناتهم يتصرفن بحرية تلك الفتاة لان هذا معيب بحسب التقاليد. لقد حاولت محاورة هؤلاء الاشخاص، حتى المتطرفين منهم، أعتقد لو كان هنالك تعليم وتوعية وادراك لكان بالامكان ان يتقبلوا التعبير. فالانسان في اي مكان من الارض هو ذاته فلماذا نحن العرب يجب ان نعطي الصورة بأننا عنيفون. لا لسنا عنيفين، فالتراكمات والعادات والتقاليد التي تدوم منذ مئات السنين، جعلت الانسان العربي يعيش بطريقة غير صحيحة في القرن الحادي والعشرين. علماً ان لدينا عادات وتقاليد ايجابية وممتازة فلماذا لا نتمسك بها ونترك الاشياء السلبية جانباً لنتطور؟ من الممكن تحسين وضع المرأة في بلداننا وان تصل الى اعلى المراكز والامساك بزمام السلطة عن طريق العلم، فنوعية التعليم عندنا خطأ، لا نجد مدرسة في اي بلد من البلدان العربية يعلّم الطفل ان المرأة والرجل سواسية، حتى نهج تربيته في المنزل خطأ.

منذ طفولته يُلقّن الاشياء السطحية مثلاً بأنه أفضل من اخته... نرى الطفل يردد هذا التلقين دون ان يدرك معناه. اذاً عندما يتعلم في البيت وفي المدرسة الامور السطحية عينها كيف يمكن تغييره عندما يكبر ويصبح رجلاً؟ ان الامر يحتاج الى جهد كبير. صحيح ان نسبة المتعلمين ارتفعت في اليمن غير ان العقلية لم تتغير لان نوعية التعليم لم تتغير بعد.

«صُدمتُ في حياتي مرتين: الاولى زواج امي الفاشل وجنون والدي، والثانية زواجي من رجل يكبرني سناً وانا في الحادية عشرة»

«اذا اثبتت المرأة وجودها تصبح لديها المقدرة على الفعل وهناك رجال يساعدونها»

ما هي وجهة نظرك في تعامل المرأة في ممارسة مفهوم السلطة كادارة وكسياسة وكيف تلمسين رد فعل الرجال؟

اذا اثبتت المرأة وجودها، يصبح لديها المقدرة على الفعل وهنالك رجال يساعدونها. هذا ما لاحظته من خلال عملي في الوسط السياسي والديبلوماسي. في البداية تكون العملية صعبة جداً وللأسف علينا نحن النساء لاثبات وجودنا العمل اضعاف ما يقوم به الرجل. يجب ان نفرض وجودنا بكل ما لدينا من طاقة. من خلال تجربتي وتجربة زميلاتي في اليمن، نجد ان في النهاية هنالك تقبل من قبل الرجال لوجود المرأة في مركز سلطة. وزيرة حقوق الانسان في اليمن السيدة امة العليم السوسوا، تحمل كل التقدير من زملائها الرجال لدورها المميز وادارتها لعملها في الوزارة. بصراحة هذا المثل يعطي املاً بأن الرجل يمكن ان يفهم ويعي ان يكون للمرأة دور ناشط وفعّال في هذا المجتمع ولها الحق في المشاركة في مراكز القرار. صحيح انهن قليلات في اليمن ومع ذلك كبداية لا بأس بها، وهذا شيء جيد.

هل هنالك صعوبات معينة ناتجة من كونك امرأة في الوسط الديبلوماسي؟

في عملي كديبلوماسية وكمسؤولة اعلامية في السفارة في باريس، أعتبر نفسي محظوظة. كل السفراء الذين عُيّنوا هنا متفهمون وواعون لموقع المرأة، لقد حظيت بالتشجيع من قبلهم وتركوا لي حرية العمل بكل الصلاحيات. لم أجد صعوبة كامرأة في تعاملي مع السفارات الاخرى او مع الادارات الفرنسية، بالعكس فان كوني امرأة في السلك الديبلوماسي امثل بلدي اليمن، فتحت لي ابواباً اكثر. والواقع ان الصعوبات كانت من الخارج، من الناس الذين لا يحبون النجاح ومن الحسّاد وهذا واقع موجود في كل مكان.

«اعتبر نفسي محظوظة»

هل تشعرين بأنك مدينة لأحد في ما وصلت اليه؟

اعتقد انني مدينة في نجاحي للمعاناة والمشاكل التي حصلت لي في طفولتي. هذه المعاناة هي التي كونت شخصيتي. لو انني عشتُ حياة هانئة لما وصلت الى ما وصلتُ اليه اليوم.

هل كانت المساندة لتحقيق الطموحات من العناصر النسائية ام الرجالية في محيطك؟

اتت المساعدة من العناصر الرجالية، لكنها اتت بعد فترة طويلة. المساندة الابرز كانت من سفيرنا السابق في واشنطن يحيى المتوكل رحمه الله، التقيته في الولايات المتحدة عندما كنت طالبة هناك، كان معجباً بشخصيتي، وكيف ان فتاة بمفردها تحدّت المصاعب للسفر وتحصيل العلم. كان لقاءً مهماً في حياتي، أعطاني الاندفاع للتقدم. تعلقي به كان كبيراً، اذ كان بمثابة الاب لي، كنا على اتصال دائم في كل شؤون حياتي، وعندما توفي العام الماضي اثر حادث سيارة، ترك فراغاً كبيراً في حياتي وألماً عميقاً لفقدان اب عطوف. الرجل الثاني الذي ساندني ويعود اليه الفضل لعملي هنا في السفارة هو الشيخ مجاهد ابو شوارب. رجل حكيم غير متعلم، يتمتع بانفتاح ووعي كامل لدور المرأة الفعال في المجتمع. هنالك اليوم في اليمن عدد من المسؤولين الذين يدركون مدى اهمية مشاركة المرأة في الحياة العامة وفي المجتمع وعلى رأسهم رئيس الجمهورية اليمني علي عبدالله صالح.

. بين الديبلوماسية والسينما

كيف توفقين بين عملك كاعلامية ديبلوماسية وبين عملك كمخرجة سينمائية، وما هو العمل الذي يجذبك؟

هنا المشكلة... الذي يعجبني في عملي كديبلوماسية ومسؤولة اعلامية هو تنظيم المعارض والندوات حول اليمن والتعريف ببلدي. ففي فرنسا واوروبا بشكل عام لا يعرفون الكثير عن اليمن وما أقوم به يساعد على التعريف بهذا البلد والترويج له تاريخياً، ثقافياً اقتصادياً وسياسياً. الفرنسي يهمه الجانب الثقافي ويشدّه بشكل عجيب خصوصاً عندما يكتشف ان اليمن موطن ملكة سبأ التي سحرت العالم. مما يثير لديه الفضول للتعرف الى ماهية هذا البلد وعاداته وتقاليده. هذا يعطيني فخراً واعتزازاً بالدور الذي أقوم به. وفي الوقت عينه أنا أكثر تعلقاً بعملي كمخرجة سينمائية. فأنا أقتنص أي فرصة أو أي اجازة صغيرة لأقوم بتصوير فيلم. هنالك دائماً موضوع جاهز للتصوير، الفيلم بالنسبة لي كالطفل، يختزن كل الحياة ويترك أثراً. لذلك عندي تعلق أكبر بعملي كمخرجة، هذا العمل ساعدني أيضاً على ايصال رسالة معينة، ومعالجة وضع معين، مما يساهم في تغيير الأوضاع داخل اليمن. وعملي الديبلوماسي يعطي صورة جيدة وايجابية عن بلادي في الخارج. اعتبر ان عملي كمخرجة وكديبلوماسية يكملان بعضهما البعض لكن ان كان عليّ الاختيار، فأنا أختار مهنة المخرجة، الكاميرا تمنحني مساحة أكبر وفرصة أكبر للتعبير.

اذا الاخراج السينمائي بالنسبة اليكِ عمل نضالي سياسي، اجتماعي، ثقافي، عمل يختصر شخصية خديجة السلامي؟

بالضبط، ليس لدى كل الناس الجرأة والمقدرة على التعبير. فعندما تواجههم مشكلة ما يحبطون. منهم من يضع هذه المشاكل جانباً ويرفض مواجهتها. أنا أحب مواجهة المشاكل وتخطي الاحباط وأقوم بذلك عبر التعبير السينمائي لتسليط الضوء على المشكلة ومن ثم ايجاد حل لها.

لقد تحدثنا عن مواجهتك للمشاكل والصعوبات التي تعترض المرأة في اليمن. اسمحي لي بسؤال اتوجه به الى السيدة اليمنية، المسلمة، المثقفة والمقيمة في فرنسا: أثارت منذ فترة، قضية ارتداء الحجاب لدى الفتيات في المدارس هنا، موجة عارمة من الجدل والمناقشات الحادة والتأويلات من مختلف الأطراف للقوانين العلمانية في الجمهورية الفرنسية، وقد أسفرت عن اتخاذ الحكومة الفرنسية قرارا بمنع ارتداء أي مظهر من المظاهر الدينية في المدارس الفرنسية «الرسمية». ما هو موقفك من موضوع الحجاب في فرنسا؟

اذا كانت المرأة كبيرة في السن وعندها المقدرة في أن تقرر ان ارادت ان ترتدي الحجاب أم لا فهذه رغبتها. أما ان تكون طفلة ويفرض عليها ذلك فرضاً فأنا اعتبر انه من الخطأ أن يفرض على الفتاة ارتداء الحجاب ان من خارج أو داخل الأسرة أو أي طرف آخر. أنا مع القرار الفرنسي بمنع ارتداء المظاهر الدينية الخارجية في المدارس وهذا من وجهة نظري لحفظ حقوق الفتيات. عندما تصل الفتاة الى سن معينة وقد أحبت أن تقرر عن اقتناع ضرورة ارتداء الحجاب فهذا اختيارها وحياتها وطريقتها في التفكير.

هل ترغبين في العودة والاقامة نهائياً في اليمن؟

أفكر في ذلك ولكن ضمن حكم عملي وحكم اهتماماتي. أتمنى أن أعود للعيش في اليمن والعمل في مجال السينما والأفلام طبعاً.

باريس - تصوير وحوار نايلة صليبي